المحاضرة العاشرة : طبيعة العلاقات الموحدية مع الممالك والإمارات النصرانية -2-:

2- العلاقات الموحدية مع مملكة ليون :

كانت علاقة الموحدين بمملكة ليون اقل عداء منها بمملكة قشتالة، فقد سادها بعض فترات الصلح وبعض فترات التوتر، فمن أهم المحطات بين مملكة ليون والموحدين، معاهدة الصلح 563ه الموافق ل: 1168م، وطلب ملك ليون بعد عقد الصلح المساعدة من جيش الموحدين لمقاتلة القمط نونة[1] ابن أخيه الذي ينازعه الملك، وقد استجاب الخليفة أبو يعقوب يوسف لطلبه حيث أرسل له جيشا بقيادة أبي العلاء بن غزون[2] فساعدوه على قتال أعداءه ثم اخضعوا خصومه داخل مملكته وبعد خمسة أشهر عاد الجيش الموحدي إلى بلاده حاملا معه وعود ملك ليون في التزامه بشروط الصلح، وحليفهم عند الخطر[3].

وقد عبر ملك ليون عن التزامه بالوعد أثناء تعرض مدينة بطليوس لاعتداء من ملك البرتغال، الذي حاصرها حيث اقبل مسرعا ، واقتحم بطليوس وقاتل ملك البرتغال حتى هزمه وتمكن من أسره، وسلم المدينة لوليها الموحدي الذي كان معتصما بقصبة المدينة ودعاه الوالي الموحدي لزيارة القصبة، إلا ان ملك ليون اعتذر كونه لم يتلق الدعوة من أمير المؤمنين نفسه[4].

وفي 566ه الموافق ل: 1171م سار السيد أبو سعيد[5] بقواته من اشبيلية لإصلاح مدينة بطليوس وتعميرها، إلا انه تفاجأ بقدوم ملك ليون بجيشه إلى بطليوس لاسترجاعها من أيدي المسلمين لأنه كان يراها من حقه وهو أولى بها لأنها كانت تقع في داخل مملكته حسب ما نصت اتفاقية مع أخيه سانشو الثالث ملك قشتالة 553ه/ 1158م[6]، ولكن الموحدين تفطنوالذلك وبعث السيد أبو سعيد إلى سؤاله عن سبب قدومه دون ان يبعث إليه فأجاب انه قدم لحمايتها، فقدم إليه الشكر ودعاه للقائه وتجديد وتأكيد الالتزام بالصلح وفعلا قابل ملك ليون أبو سعيد وأكد التزامه بالصلح ثم عاد بقواته إلى بلاده[7].

يئس ملك ليون من إمكانية الاستيلاء على بطليوس، فأنشأ بطلب مالا من الموحدين كتعويض على ما خسره في إنقاذه للمدينة من هجوم ملك البرتغال عليها، فكان الخليفة الموحدي

يبعث له بالهدايا التي ترضيه، لكن هذا لم يجده نفعا، ففي سنة569ه الموافق ل: 1174م[8] قام بغزو الأندلس، مما دفع بالخليفة إلى محاولة غزوه في أرضه حيث خرج الخليفة بجيشه من اشبيلية في صفر 570ه الموافق ل: سبتمبر 1174م، وغزا مدينة السيطاط[9] لكنه لم يتمكن منها إلا انه تمكن من استرداد مدينة القنطرة[10] ثم عاد إلى اشبيلية[11].

استرداد الموحدين واستيلائهم على مدينة القنطرة احدث استياء عند النصارى عامة، وعند الكنيسة خاصة حيث جعل رجال الدين يمنحون الامتيازات والمباركات لكل من يواصل غزو الأراضي الأندلسية، فسار ملك ليون بقواته نحو الأراضي الأندلسية سنة 572ه الموافق ل: 1177م فعبر نهر الوادي الكبير وشن غزوة حتى وصل إلى أحواز اركش وشريش، مما جعل الجيش الموحدي يخرج من مدينة اشبيلية ليلحق بملك ليون لكن دون جدوى، لكنهم تقابلوا مع بعض القوات النصرانية من مدينة طليرة فتمكنوا منها واسروا وغنموا، وعادوا*** ضربوا باشبيلية أعناقهم في حصور الأشياخ والخليفة[12].

لم يكف ملك ليون عن غزو الأراضي الأندلسية، حيث حاصر مدينة قاصرش[13] لكنه لم يتمكن منها، لأنه في تلك الأثناء عبر الخليفة الموحدي إلى الأندلس وذلك كان سنة 570ه الموافق ل: 1184م بالضبط من اجل غزو البرتغال مما جعل ملك ليون يختار مقابلة الجيش الموحدي فرفع الحصار عن قاصرش وعاد بقواته إلى بلاده، ثم خرج مرة أخرى ليقف إلى جانب النصارى ضد الموحدين بعد محاصرة الخليفة لشنترين[14].

هذا وقد عاد ملك ليون لغزو الأندلس في حدود أواخر سنة 621ه الموافق ل: 1224م، وقد استغل في ذلك فرصة انشغال الموحدين بأمر النزاع على الخلافة[15]، فما ان دخلت أوائل 622ه الموافق ل: 1225م حتى استولى على مدينة قاصرش ثم عبرت قواته جبال الشارات وقامت بغزو غربي اشبيلية وغنموا وسبوا، وكان آنذاك باشبيلية الخليفة العادل وأخوه أبو العلاء ووزيره ابن يوجان وبعض أشياخ الموحدين غير أنهم لم يحركوا ساكنا للدفاع عن اشبيلية رغم استنجاد أهل اشبيلية بهم[16].

امتناع الخليفة ومن معه مع لقاء النصارى ومواجهتهم جعل الأهالي يخرجون بأنفسهم

لمقابلة النصارى في جماعات غير منظمة وبأسلحة خفيفة وجماعات دون أسلحة، فتقابلوا مع النصارى في جمادى الأولى سنة 622ه الموافق لـ 1225م، عند بلدة طلباطة[17]، ونشبت بين الطرفين معركة غير متكافئة[18] انتهت بهزيمة المسلمين حيث خسروا عشرين ألفا من قتيل وأسير[19].

وفي 627ه الموافق لـ 1230م حاصر ملك ليون مدينة ماردة[20] مستغلا ظرف ثورة الأندلسيين على الموحدين، لكن ابن هود صاحب بطليوس أسرع إلى إنقاذ المدينة، ونشبت بين الطرفين موقعة عند حصن الحنش[21]، انتهت بهزيمة ابن هود الذي فر بجنده إلى مدينة اشبيلية بينما ملك ليون عاد لمهاجمة ماردة فاستولى عليها ثم استولى على بطليوس، وأقام بها أسقفية ثم توفي في نفس السنة[22].

وانطلاقا مما ذكرناه يمكن القول ان علاقة الموحدين بمملكة ليون كانت ودية لفترة قصيرة ثم تحولت إلى عدائية طيلة الوقت.